شروط المحقق وخطوات التحقيق.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

العمل في المخطوطات ليس أمرا هينًا ولا عملاً يسيرًا يستطيع أن يقوم به من يريد، بل إنه علم وفن، وصنعة وذوق، وهو قبل ذلك شغف دافق، وهواية طاغية، ورغبة صادقة، وتعلق بها شديد:

أما أنه علم فلأنه يقوم على قواعد وقوانين أصيلة، استعرضها المحدثون في كتبهم، وقد تقدم ذكر بعضها.

وأما أنه فن فلأن المحقق الماهر يبدع في كشف كثير من اللطائف العلمية شرعية كانت أو أدبية، أو تاريخية وغيرها مما لا يتاح لغيره كشفها، ويحسن تقديمها في دراسته، أو مقدمته للكتاب المحقق.

وأما أنه صنعة فهو عمل علمي قائم على خبرة طويلة، وممارسة لقراءة كتب التراث، ومعرفة أنواع الخطوط وتاريخها، والاطلاع على إسناد الكتاب، وسماعات العلماء وقراءتهم للنسخة، مما يساهم في توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه، وغير ذلك من الأمور العلمية الفنية.

ويستلزم في ذلك كله توثيق كلِّ ما يذكره في الحاشية، وذلك بعزوه إلى مصدره والمرجع الذي أخذ منه، ويُراعى ذِكرُ الجزء والصفحة دون الإشارة إلى سائر المعلومات؛ لأن موضعها فهرس المراجع الذي يأتي الكلام عليه.

أما أنه ذوق، وذلك إن تكون تعليقاته غير مسهبة، وإنما يراعى الدقة والاختصار قدر الإمكان، ومن أهم أسباب صعوبة التحقيق تلك المتعلقة بمادة المخطوط والتي تجعل من العسير التعرف على ما هو مكتوب فيه، ومنها على سبيل الذكر:

1- أن تكون النسخة الفريدة ذات عيوب.

2- صعوبة الخط.

3- اضطراب الأوراق.

4- تأثير الرطوبة وعوامل الطبيعية على الأوراق.

5- كثرة التصحيف.

6- الخروم والأسقاط والبتر.

7- كثرة الخلافات في القراءة، والتفاوت الشديد بين النسخ، وتدخل غير المؤلف في سياق النسخة.

ومن هنا كان لا بد من معرفة صفات المحقق، لما له من بالغ الأهمية في إخراج تراثنا ونشره، والانتفاع به، وهي تنقسم إلى صفات عامة، وصفات خاصة ينبغي أن تتوفر في من يصدى لعملية التحقيق:

فأما الصفات العامة فمنها:

1- أن يكون المحقق متحلِّيً بالأمانة والصبر: الأمانة في أداء النص صحيحًا بلا تزيُّد أو نقصان - تقتضى سخاءً بالجهد والوقت، وصبرًا على العمل بلا حساب.

2- أن يكون عارفًا باللُّغة العربية - ألفاظها وأساليبها وقواعدها- معرفةً جيدة.

3- أن يكون ذا ثقافةٍ عامة.

4- أن يكون على عِلم بأنواع الخطوط العربية، وأطوارها التاريخية.

5- أن يكون على دراية كافية بالمراجع والمصادر العربية (ببليوغرافيا)، وفهارس الكتب العربية، وبخاصة في الفن الذى يعالجه الكتاب الذى يحققه.

6- أن يكون مطَّلعا على المؤلفات التي تدله وتعلّمه كيفية تحقيق المخطوطات، والأساليب والقواعد العلمية المتبعة في هذا المجال، وعليه أيضًا أن يطّلع على المخطوطات التي سبق أن حققها كبار العلماء والأساتذة حتى يستفيد عمليًا وتطبيقيًا من أساليبهم في التحقق.

-وأما الصفات الخاصة فمنها:

أن يكون المحقق ملمًّا بموضوع الكتاب الذى يريد تحقيقه، عارفًا بأصوله، مطلعًا على مصطلحاته، قد تمرس على أسلوب المؤلف، وقرأ بعض كتبه الأخرى، فمن أراد تحقيق مخطوط في الحديث النبوي فعليه أن يكون ذا دراية بتاريخ السنة ونقلها ومدارسها، ومن أراد التحقيق في التفسير فعليه أن يكون مشتغلاً بالتفسير وعارفًا بأنواعه وتاريخه.. وهكذا.

مراحل التحقيق.

على المحقق عند عمله على إخراج مخطوط ما أن يقوم بأمور يمكن تقسيمها إلى أربع مراحل: قبل التحقيق- التحقيق الابتدائي- التحقيق النهائي- بعد التحقيق.

1- قبل التحقيق:

أولا: التأكد أن الكتاب لم يحقق نشر أم لم ينشر، وذلك بالرجوع إلى بعض فهارس المخطوطات المطبوعة كاكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدوارد فانديك، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة وجامع التصانيف الحديثة لإليان سركيس، ومعجم المخطوطات المطبوعة لصلاح الدين المنجد، وذخائر التراث العربي الإسلامي لعبد الجبار عبد الرحمان، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع لمحمد عيسى صالحية.

ثانيا: التأكد أن الكتاب لم يحقق جيدا رغم نشره من خلال قراءة الكتاب بموضوعية وأمانة دون مزايدة على المحقق السابق من أجل تبرير التحقيق.

ثالثا: جمع نسخ المخطوط

2- التحقيق الابتدائي:

أولا: تحقيق عنوان المخطوط ونسبته لصاحبه.

بعد أن يحدد المحقق النسخ الصالحة ويختار التي سيعتمدها عليه أن يحقق نسبتها إلى صاحبها بالبحث والتنقيب في المخطوط نفسه أو في غيره من المصادر ككتب الفهارس والتراجم والطبقات والتي تكون قد أشارت إلى صاحبه، فقد ينسب الكتاب لأحد غير صاحبه الحقيقي وهذا حاصل في تراثنا ومنه ما يتنبه إليه المحققون لقرائن معينة "ومن أمثلة ذلك كتاب نسب إلى الجاحظ، وعنوانه "كتاب تنبيه الملوك والمكايد"، ومنه صورة مودعة بدار الكتب المصرية برقم 2345 أدب. وهذا الكتاب زيف لا ريب في ذلك؛ فإنك تجد من أبوابه باب "نكت من مكايد كافور الإخشيدي" و"مكيدة توزون بالمتقي الله". وكافور الإخشيدي كان يحيا بين سنتي 292 و357 والمتقي لله كان يحيا سنتي 297 و357. فهذا كله تاريخ بعد وفاة الجاحظ بعشرات من السنين. وأعجب من ذلك مقدمة الكتاب التي لا يصح أن ينتمي إلى قلم الجاحظ".

فعلى المحقق أن يجتهد ويفرغ وسعه في الوصول للحقيقة معتمدا على منهج علمي رصين ولا يكتفي بقبول المعلومات الجاهزة باعتبارها مسلمات. وتوثيق نسبة المخطوطة لا يقتصر على نسبتها لصاحبها الحقيقي بل يشمل توثيق اسمه وتفريقه عن غيره فمثلا ابن الأثير يطلق على كثير من الناس أشهرهم الإخوة الثلاثة أبو الحسن وأبو السعادات وضياء الدين وقد يخلط البعض بين مؤلفاتهم.....ويمكن للمحقق أن يعتمد على كتب التراجم لتوثيق اسم المؤلف ونسبه وأشهرها: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، وهدية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا والأعلام لخير الدين الزركلي، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

فإذا أنهى المحقق كل هذا انتقل لتوثيق عنوان المخطوط بنفس المنهج السابق، أي بالبحث في كتب الفهارس (الفهرست- كشف الظنون- إيضاح المكنون- مفتاح السعادة ومصباح السيادة،،، إذ هناك مخطوطات بلا عنوان أو بعنوان ناقص أو مزيف وبعضها لها أكثر من عنوان ككتاب شرح الأبيات المشكلة الإعراب من الشعر، لأبي علي الفارسي النحوي "377هـ" الذي قال عنه محققه: "ولقد جاء اسم هذا الكتاب بأشكال مختلفة، سواء على ظهر المخطوطة أو في المصنفات الأخرى، فقد ذكر باسم: أبيات الإعراب، كتاب الشعر، الشعر العضدي، شرح الأبيات المشكلة الإعراب من الشعر. ويبدو لي أن الاسم الأخير هو الاسم الكامل للكتاب، وقد آثرنا هذه التسمية لأنها وردت في كتاب "الحجة" أولا، ولأنها أقرب إلى واقع المضمون فيها ثانيًا".

ثانيا: المفاضلة بين نسخ المخطوط وتحديد النسخة الأصل وقد اعتمد برجستراسر على الأسس التالية للمفاضلة:

أ- النسخ الكاملة أفضل من النسخ الناقصة.

ب- الواضحة أحسن من غير الواضحة.

ج- القديمة أفضل من الحديثة.

د- النسخ التي قوبلت بغيرها أحسن من التي لم تقابل.

وهناك من المحققين من يعتمد معايير أخرى للمفاضلة بين النسخ وتحديد النسخة التي سيعتمدها ومن هذه المعايير كما رأيناها عند عبد السلام هارون عند حديثنا على أصول النصوص (فليراجع هناك) ولا بأس من اختصارها هنا على الترتيب السابق:

أ- النسخة المكتوبة بخط المؤلف.

ب- النسخة التي أملاها المصنف على طلابه.

ج- نسخة قرأها المؤلف بنفسه، وكتب بخط يده عليها ما يثبت قراءته لها.

د- نسخة قرئت على المؤلف، وأثبت عليها ما يفيد سماعه لها.

هـ- نسخة منقولة عن نسخة المؤلف، أو قوبلت على نسخة المؤلف.

و- نسخة كتبت في عصر المؤلف، وأثبتت عليها سماعات من العلماء.

ز- نسخة كتبت في عصر المؤلف وليس عليها سماعات.

ح- نسخة كتبت بعد عصر المؤلف وليس عليها سماعات.

وهناك اعتبارات أخرى تجعل بعض النسخ أولى من بعض في الثقة كصحة المتن، ودقة الكاتب، وقلة الإسقاط.

ثالثا:المقابلة بين النسخ وتحديد الفروق بينها لمعرفة أقربها للصواب وهذه عملية دقيقة ومهمة إذ تعتبر أساس التحقيق النهائي.

رابعا: كتابة المسودة: وهي النسخة التي يجري عليها المحقق عمله التحقيقي.

3- التحقيق النهائي: وفيه يقوم المحقق بتقويم النص وإصلاح تحريفاته وتصحيفاته وأخطائه وفق منهج علمي وفني معين مستعينا بمصادر ومراجع متنوعة ككتب أخرى للكاتب أو كتب لها علاقة مباشرة بالمخطوط مثل كتب الشرح والاختصار والحواشي والتهذيب، والكتب التي أخذت عنه ومنه أو كتب لها علاقة غير مباشرة بالمخطوط ككتب معاصري الكاتب بنفس موضوع المخطوط، وينتهي لإعداد النسخة النهائية المضبوطة مع التعليقات وكل الإضافات التي تسمى بمكملات التحقيق.

5- بعد التحقيق: إذا أنهى المحقق عمله النهائي قام بوضع مقدمة وخاتمة للكتاب، في الأولى يتناول التعريف العام بمادة الكتاب مضامينه ومؤلفه ونسخه وناسخه إن وجد ومنهج المحقق في التحقيق. ويذكر في الثانية باختصار نتائج تحقيقه. كما يذكر المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق و كل ما من شأنه أن يجعل الكتاب في هيأته النهائية وقابلا للطبع والنشر.

مكملات التحقيق.

بالإضافة للتقويم والتصحيح والتوثيق على المحقق أن يقوم بمجموعة من الأمور التي أصبحت من أدبيات التحقيق نلخصها فيما يلي:

- تخريج الآيات والأحاديث والآثار والأشعار والأخبار..
- التعريف بالبلدان والأماكن.
- الترجمة للأعلام.
- التعليق على النص عند الضرورة.
- التنقيط والتشكيل.
-وضع علامات الترقيم.
- وضع الفهارس المختلفة.
- وضع ثبت المصادر والمراجع.